العلاقات الاقتصادية بين الدولة العباسية وأوروبا

الأستاذ الدكتورة/ آمنة جلال (*)

ملخص البحث

البحث يعنى بدراسة العلاقات الاقتصادية بين الدولة العباسية والدول غير المسلمة، بما يرد على المزاعم التي تُصوِّر الإسلام على أنه يشكل تهديدًا للعالم، بالتأكيد على أن الحضارة الإسلامية تقوم بشكل ثابت عبر التاريخ على التعايش السِّلْمي والتعاون والتفاهم المُتبادَل بين الحضارات.

ويجيب البحث على عدد من التساؤلات أبرزها تساؤل: هل كانت ثمة ثقافة للجيل الأول من المسلمين في موضوع التعايش الدولي، تقارن ثقافة ذروة سنام الإسلام: «الجهاد»، وهل يمكن أن يكون هذا الميراث الحضاري في التعامل نبراساً لتعاملات اليوم بين الدول الإسلامية والعالم المعاصر.

وذلك لبيان هدف البحث في تجلية أسس التعامل الاقتصادي في عهد العباسيين بينهم وبين أوروبا، لبيان أن الدولة القوية هي التي تحسن التعامل مع الآخرين، وليس القوة منحصرة في التهديد والبطش والقهر كما يظنه غير المسلمين.

وقد قام البحث على منهجين: المنهج «**الاستردادي التاريخي**»، و«**المنهج التحليلي**» لما يمكن أن يستنبط من المنهج الاستردادي.

وقد قام البحث على خطة البحث: مكونة من مقدمة وتمهيد ومبحثين وخاتمة.

.**المقدمة**: وفيها بين أسباب اختيار البحث وأهميته وعرض لخطة البحث.

(*) عضو هيئة التدريس بقسم التاريخ بكلية الشريعة. جامعة أم القرى.

- **التمهيد:** في نبذة مختصرة تاريخية عن أسس العلاقات بين الدولة الإسلامية وغيرها من الدول.

- **المبحث الأول: أسباب ازدهار العلاقات بين الدولة العباسية وأوروبا.**

وبحثته في أربعة مطالب:

المطلب الأول: استتباب الأمن والازدهار الاقتصادي.

المطلب الثاني: نمو العلاقات السياسية وأثرها على العلاقات الاقتصادية.

المطلب الثالث: تعدد طرق التجارة العالمية.

المطلب الرابع: السيطرة على الطرق والمسالك التجارية.

- **المبحث الثاني: مظاهر العلاقات الاقتصادية بين الدولة العباسية وأوروبا.**

وبحثته في ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: المراكز التجارية.

المطلب الثاني: النظم الاقتصادية.

المطلب الثالث: حجم التبادل التجاري.

- **الخاتمة**: وفيها عرض لأهم نتائج البحث والتوصيات والمقترحات.

فهرس المصادر والمراجع.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

المقدمـة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، وسيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله. ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾[آل عمران:١٠٢]. ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾[النساء:١]. ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَقُولُوا۟ قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾[الأحزاب:٧٠، ٧١].

أما بعد:

فإن دراسة العلاقات الاقتصادية بين دول الإسلام الأولى والدول غير المسلمة لموضوع له أهمية كبيرة في عصرنا الحاضر، فلقد شهدت العلاقات بين الدول الإسلامية وغيرها منذ أوائل القرن العشرين الميلادي تطورًا ملحوظًا نحو المزيد من التعاون والتحاور؛ حيث كان من الواضح وجود انسجام مع النظام القانوني الدولي سواء في عهد العصبة أو في ظل نظام الأمم المتحدة؛ إذ تسهم الدول الإسلامية ـ وهي: ٥٦ دولةً تمثل ٣٠٪ من مجموع أعضاء المنظمة الدولية ـ في إرساء قواعد التعاون والتفاهم والتعايش التي هي سمات أساسية للعلاقات الخارجية الإسلامية.

ومنذ عام (١٤١٧هـ/١٩٩٧م) دعت منظمة المؤتمر الإسلامي في بياناتها وقراراتها إلى إجراء حوار بين الإسلام والغرب، وذلك ردًّا على مقولة «صِدام

الحضارات» التي أطلقها «صمويل هينتنجتون» في صيف عام (١٤١٤هـ/١٩٩٣م)، والتي خلص فيها إلى القول بأنه بعد انتهاء الحرب الباردة؛ فإن الصراعات المستقبلية سوف تركز على معايير ودوافع ثقافية وحضارية، وأن الصراع على وجه التحديد سيكون بين الحضارة الغربية من ناحية، وتحالف إسلامي كونفوشي من ناحية أخرى، وبعد ثلاث سنوات من مقالته الشهيرة أصدر كتابًا بعنوان «صراع الحضارات إعادة صنع النظام الدولي» انتهى فيه إلى القول بأن صِدام الحضارات هو الخطر الأكثر تهديدًا للسلام العالمي، وأن الضمان الأكيد ضد حرب عالمية هو نظام عالمي يقوم على الحضارات.

وقد ردَّت منظمة المؤتمر الإسلامي في القمة الإسلامية الثامنة (١٤١٨هـ/ ديسمبر ١٩٩٧م) على المزاعم التي تُصوِّر الإسلام على أنه يشكل تهديدًا للعالم، وأكدت «أن الحضارة الإسلامية تقوم بشكل ثابت عبر التاريخ على التعايش السِّلْمي والتعاون والتفاهم المُتبادَل بين الحضارات، وكذلك على التحاور البنَّاء مع الديانات والأفكار الأخرى».

وهذا النهج الذي سارت عليه المنظمة له جذوره التاريخية، فلقد كانت العلاقات مستمرة بين الدولة الإسلامية وغيرها، فدراسة هذه العلاقات بشيء من التوسع، بحثٌ له أهمية كبيرة في التاريخ الإسلامي ومن هنا كانت أهمية هذا البحث.

أسباب اختيار الموضوع وأهميته:

ـ دراسة مثل هذه الموضوعات تعين على إدراك تاريخ المسلمين العظيم وكيفية حقيقة التعايش بين الحضارات.

ـ كما تؤكد هذه الدراسات أن مفهوم الدولة في الإسلام تخطى المفهوم الضيق آنذاك، فأسس العلاقات الدولية أرستها أمة الإسلام قبل أوروبا بقرون.

- وتبين الدراسة حقيقة العلاقات الاقتصادية بين دولة بني العباس وبين دول أوروبا بما يمكن أن تفرزه هذه العلاقات من تطور في الصناعات، والبحرية الإسلامية، والنظم الاقتصادية، وغير ذلك.

تساؤلات البحث:

إن هذا البحث يجيب على عدد من التساؤلات، إلا أن أبرز ذلك يكمن فيما يلي:

- هل كانت ثمة ثقافة للجيل الأول من المسلمين في موضوع التعايش الدولي، تقارن ثقافة ذروة سنام الإسلام: «الجهاد»، وهل استطاع العباسيون أن يوازنوا بين ذلك؟.

- هل يمكن أن يكون هذا الميراث الحضاري في التعامل نبراساً لتعاملات اليوم بين الدول الإسلامية والعالم المعاصر؟

أهداف البحث:

. يهدف البحث إلى تجلية أسس التعامل الاقتصادي في عهد العباسيين بينهم وبين أوروبا، لبيان أن الدولة القوية هي التي تحسن التعامل مع الآخرين، وليس القوة منحصرة في التهديد والبطش والقهر كما يظنه غير المسلمين.

منهج البحث:

يقوم البحث في أصالته على المنهج «**الاستردادي التاريخي**»، إذ هو ألصق المناهج بطبيعة البحث التاريخي، إلا أن ذلك المنهج لا ينتج ثماره الكاملة إلا باستخدام «**المنهج التحليلي**» لما يمكن أن تستنبط منه الفوائد والعبر لبيان الأسس النظرية للتعامل الاقتصادي الإسلامي مع العالم بصورة عامة، مع التطبيق الحاصل في عهد العباسيين.

*** خطة البحث:**

لقد تحصل لي الكتابة في هذا البحث من خلال مقدمة وتمهيد ومبحثين وخاتمة على النحو الآتي:

- **المقدمة**: وفيها بين أسباب اختيار البحث وأهميته وعرض لخطة البحث.
- **التمهيد:** في نبذة مختصرة تاريخية عن أسس العلاقات بين الدولة الإسلامية وغيرها من الدول.
- **المبحث الأول: أسباب ازدهار العلاقات بين الدولة العباسية وأوروبا.**

وبحثته في أربعة مطالب:

المطلب الأول: استتباب الأمن والازدهار الاقتصادي.

المطلب الثاني: نمو العلاقات السياسية وأثرها على العلاقات الاقتصادية.

المطلب الثالث: تعدد طرق التجارة العالمية.

المطلب الرابع: السيطرة على الطرق والمسالك التجارية.

- **المبحث الثاني: مظاهر العلاقات الاقتصادية بين الدولة العباسية وأوروبا.**

وبحثته في ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: المراكز التجارية.

المطلب الثاني: النظم الاقتصادية.

المطلب الثالث: حجم التبادل التجاري.

- **الخاتمة**: وفيها عرض لأهم نتائج البحث، والتوصيات والمقترحات.

فهرس المصادر والمراجع

التمهيد
نبذة مختصرة تاريخية عن
أسس العلاقات بين الدولة الإسلامية وغيرها من الدول

منذ عهد النبي ﷺ كان هناك علاقات بين الدولة المسلمة والدولة الكافرة في مكة لكن كان هذا في وقت السلم أي الهدنة، فقد ثبت أن النبي ﷺ صالح اليهود في المدينة بالوثيقة المشهورة التي حددت أهم ملامح التعايش السلمي بالمدينة، ومما جاء فيها «وإن يهود بني عوف أمة مع المؤمنين،... إلى أن قال: وإن على اليهود نفقتهم وعلى المسلمين نفقتهم، وإن بينهم النصح والنصيحة والبر دون الإثم، وإنه لم يأثم امرؤ بحليفه، وإن النصر للمظلوم»[1] فهذا كان أول علاقة سلمية بين المسلمين وغيرهم.

وصالح النبي ﷺ قريشاً صلح الحديبية المشهور في ذي القعدة (٦هـ/ ٦٢٧م)، وسماه الله تعالى في القرآن (فتحاً) قال تعالى: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا﴾[الفتح:١] قال ابن كثير[2]: (نزلت هذه السورة الكريمة لما رجع رسول الله ﷺ من الحديبية).

كما صالح النبي ﷺ عدة قبائل من العرب في فترة صلح الحديبية، كما صالح ملك أيلة وأهل جرباء وأذرح (٩هـ)، وأهل نجران وكانوا نصارى[3]، كما راسل المقوقس فأهدى له المقوقس مارية القبطية رضي الله عنها وهدايا

(1) البداية والنهاية لابن كثير ٣/ ٢٢٤.
(2) تفسير ابن كثير: ٤/ ١٨٢، البداية والنهاية ٤/ ١٧٩.
(3) البداية والنهاية لابن كثير ٥/ ١٥، ٢٨.

أخرى[١]، كما راسل كسرى وقيصر وهرقل وغيرهم[٢]، كما أرسل إلى سهيل بن عمرو في مكة يطلب مزادتين من ماء زمزم وذلك قبل فتح مكة[٣].

وحيث إن العلاقات الاجتماعية ثمرة **التعايش السلمي** فقد أباح الله للمؤمنين **التزوج** بأهل الكتاب، قال تعالى **﴿وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ إِذَآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ﴾**[المائدة:٥].

كما تزوج النبي ﷺ من قبائل العرب المختلفة، وهو ﷺ وإن تزوج المؤمنات إلا أنه لم تكن قد دخلت تلك القبائل في الإسلام، وكان لهذه العلاقات الأثر في الدعوة إلى الله تعالى، وتماسك الأمة الإسلامية[٤].

فيمكن أن نستشعر أن هذه العلاقات كانت أيضاً من باب **التأليف** على الإسلام فهي لم يغب عنها الهدف الأسمى وهي علاقة الدعوة إلى الله تعالى.

أما في **وقت الحرب** فالعلاقات التي كانت بين المسلمين وغيرهم تحكمها آداب الجهاد في الإسلام ومنها ما جاء عَنْ سُلَيْمَانَ بْنِ بُرَيْدَةَ عَنْ أَبِيهِ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ **«اغْزُوا بِاسْمِ اللَّهِ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَاتِلُوا مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ اغْزُوا**

(1) البداية والنهاية لابن كثير ٤/٢٧١.

(2) البداية والنهاية لابن كثير ٤/٢٦٢.

(3) قال الشيخ الألباني رحمه الله: (وإسناده جيد رجاله كلهم ثقات) انظر سلسلة الأحاديث الصحيحة ٢/٥٧٣.

(4) فتزوج من قريش: عائشة وحفصة وأم حبيبة رملة بنت أبي سفيان، وأم سلمة، وتزوج سودة وهي عامرية، وتزوج جويرية من بني المصطلق، وتزوج صفية بنت حيي من نسل هارون النبي ﷺ، وعقد النكاح على عمرة بنت يزيد الغفارية، والعالية بنت ظبيان الكلابية، وخولة بنت الهذيل التغلبية، وأسماء بنت كعب الجونية، وأم شريك الأزدية، وخطب ليلى بنت الحطيم الأنصارية، وصفية بنت بشالة التميمية، وغيرهن. انظر: البداية والنهاية لابن كثير ٥/٢٥٦، ٢٥٨، ٢٦٣.

وَلَا تَغْدِرُوا وَلَا تَغُلُّوا وَلَا تُمَثِّلُوا وَلَا تَقْتُلُوا وَلِيدًا»[1] والنصوص في ذلك كثيرة مشهورة.

فالعلاقات لها جذورها وأصولها في التاريخ الإسلامي؛ واستمرت في دولة الراشدين، وفي الدولة الأموية، وظهرت بقوة في نواح كثيرة في الدولة العباسية، لأسباب يأتي ذكرها في البحث إن شاء الله تعالى.

وحتى فيما يلي ذلك وبعد انتهاء الحروب الصليبية؛ أُبرِمت معاهدات الصداقة بين السلطان المملوكي «الأشرف خليل» سلطان مصر وسوريا و«دون جيم» ملك الأرجون **Argon**، والتي نصت على أن يكون الأخير صديقًا للأشرف خليل، وعدوًّا لأعدائه، ثم توثقت العلاقات الدبلوماسية بين السلطان المملوكي وعدد من الدول الأوروبية، وخُلِّد وصول أول سفير «لفينيسيا» في لوحة زيتية في مدرسة «بلليني»، وتُوجَد في الوقت الحالي في متحف «اللوفر»، ووصل أول سفير من لويس الثاني عشر إلى مصر في (٩١٨هـ/ ٢٥ من مارس ١٥١٢م)، وتكونت البعثة الدبلوماسية من ٥٠ شخصًا. وسُجِّلَت هذه الوقائع من قِبَل المؤرخ المملوكي «ابن إياس» كما سجلت من «جان سينود» عضو البعثة الفرنسية، كما جسدت العلاقات السلم بصورة فعلية فعندما أبرم السلطان سليمان القانوني معاهدة عام (٩٤٢هـ/١٥٣٥م) مع ملك فرنسا «فرنسيس الأول» أرست لعلاقات تعاون سلمي بين الجانبين.

فهذه العلاقات لم يخل منها تاريخ الدولة الإسلامية، وحيث إن حدود هذا البحث دراسة العلاقات بين الدولة العباسية وأوروبا، فسيتم بحث ذلك من خلال

(1) رواه مسلم في كتاب الجهاد باب تأمير الأمراء على البعوث ووصيته إياهم (ح١٧٣١).

معرفة أسباب هذا الازدهار في العلاقات من جهة، ودراسة أهم مظاهر هذه العلاقات من جهة أخرى.

وحيث إنه كان في ذلك الوقت يحكم أوروبا مملكتان كبيرتان، لذا يحسن التنبيه هنا أني في حدود البحث فسأبحث علاقات الدولة العباسية مع الدولة البيزنطية، وعاصمتها القسطنطينية، ومع الدولة الكارولونجية، وقاعدتها مدينة اكس لاشبل «آخن».

وبالله التوفيق

المبحث الأول

أسباب ازدهار العلاقات الاقتصادية بين الدولة العباسية وأوروبا

المطلب الأول

استتباب الأمن والازدهار الاقتصادي

لقد شهد العصر العباسي تطوراً اقتصادياً عظيم الشأن وصل إلى القمة في القرن (٣هـ/ ٩م)، حيث نعم ذلك العصر بنوع من الاستقرار عنه في العصر الأموي الذي شهد أعظم الفتوحات الإسلامية، فحين قامت الدولة العباسية سنة (١٣٢هـ/ ٧٤٩م) على أنقاض الدولة الأموية ورثت عنها رقعة من الأرض شاسعة الأرجاء، كثيرة الخيرات، فعمل الخلفاء العباسيين على الاستفادة من ثرواتها بقدر الإمكان، فقامت الدولة باستخراج **المواد الخام** والثروات المعدنية التي حفل بها العالم الإسلامي وعملت على نقلها إلى مراكز الصناعة في سهولة ويسر، فكان «الذهب» يستخرج من القسم الغربي من العالم الإسلامي من صحراء مصر الشرقية، وكانت «الفضة» تستخرج من الشرق الإسلامي من أصبهان وباداغيس وفرغانة، أما «النحاس الأصفر» فكان يستخرج من بخارى، و«الحديد» كان يجلب من فارس وكابل وفرغانة وبيروت، وكذلك «اللؤلؤ» يستخرج من الخليج الفارسي، إلى جانب «الخزف والمرمر» الذي كان يجلب من تبريز، و«الملح والكبريت» من شمال فارس، و«القار والنفط» من بلاد الكرج(١).

وقد عملت الدولة العباسية على توفير سبل الأمن والأمان لنقل هذه المواد الخام إلى المراكز الصناعية، كذلك حرصت على القضاء على الثورات وتأكيد هيبة

(1) لمعرفة المزيد عن الثروات الطبيعية للعالم الإسلامي في العصر العباسي أنظر، المقدسي:، ص٢٨٣؛ الإدريسي: ص٣٩، ٤٠؛ ابن حوقل: ص٢١٤.

الخلافة وسطوتها، لتحقيق الاستقرار لكي يتم الانتعاش الاقتصادي الذي تصبوا إليه، وقد أدت الاتصالات الدولية بين الدولة العباسية والدول المجاورة لها إلى فتح الأسواق العالمية أمام التجارة العباسية والدول الأخرى، فحملت الصناعات الإسلامية إلى الصين وبلاد البلغار وبلاد أوروبا، وعجت أسواق الدولة بمختلف البضائع من كافة الأرجاء، وغدت الدولة العباسية موفورة الرخاء موفورة الثروات حاشدة بالكفايات والخبرات(١).

(1) العالم الإسلامي في العصر العباسي، حسن محمود: ص٢٠٥.

المطلب الثاني
نمو العلاقات السياسية وأثرها على العلاقات الاقتصادية

لقد لعبت العوامل السياسية دوراً كبيراً في العلاقات الاقتصادية ما بين الدولة العباسية والدولة البيزنطية، فقد ظهر ذلك الأثر الواضح من خلال علاقات الحروب المستمرة التي تتخللها دوماً فترات من السلم، بالإضافة إلى محاولة كلا الجانبين في السيطرة على طرق التجارة من الشرق إلى الغرب لتحقيق مصالح اقتصادية.

فعلى سبيل المثال حين انتصر الرشيد على البيزنطيين في عهد ملكتهم إيريني (١٦٥هـ) طلبت الأخيرة من **الرشيد** عقد صلح معه، غير أن نقفور الذي اعتلى العرش بعدها (١٨٧هـ) أرسل إلى الرشيد كتاباً ينقض فيه الهدنة وطالبه برد الجزية، فقاد الرشيد حملة على بلاد الروم انتصر عليهم وأخضعهم لدفع الجزية[١].

وقد توقفت التجارة الدولية نتيجة لتلكم الحالة غير المستقرة ما بين البلدين حتى جاء عهد المأمون، فأرسل إمبراطور الروم رسالة إلى الخليفة العباسي يطلب منه الصلح وكتب له كتاباً جاء فيه: (وقد كنت كتبت إليك داعياً إلى المسالمة راغباً في فضيلة المهادنة، لنضع أوزار الحرب عنا، ولنكون كل واحد لكل واحد ولياً وحزباً، مع اتصال المرافق، والفسح في المتاجر، وفك المستأسر، وأمن الطرق)[٢].

---

(1) البداية والنهاية، ابن كثير: ،ج ١٠، ص١٩٤؛ المختصر في أخبار البشر، لأبي الفدا، ج٢، ص١٧؛ تاريخ الرسل والملوك، للطبري ج٩، ص٣٤٧؛ الكامل في التاريخ، ج٥، ص١١٨، ١١٩؛ دولة بني العباس، ج٢، ص٣٤٤؛ العلاقات الخارجية في العصر الإسلامي، ث٥٤-٥٧؛ العصر العباسي، موسوعة التاريخ الإسلامي، ط١، عمان، الأردن، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م، ص ١١١.

(2) تاريخ الرسل والملوك، ج٥، ص٢٨٣؛ تاريخ الإسلام، حسن إبراهيم حسن: ج٢، ص٢٤٧؛ دولة بني العباس، ج٢، ص٣٤٥.

كذلك لعبت **البعثات الدبلوماسية** دوراً كبيراً في تشكيل العلاقات الاقتصادية ما بين الدولتين، فعلى سبيل المثال، أرسلت القسطنطينية وفداً رفيع المستوى إلى بغداد لتهنئة الخليفة العباسي **المهدي** على توليه الخلافة (١٥٨هـ/٧٧٥م)، وقد أكرم المهدي هذا الوفد وأحسن ضيافته(١)، كذلك أرسل الخليفة العباسي **المستعين** رسوله إلى إمبراطور بيزنطة يطلب منه السماح بشراء أنسجة رقيقة من الديباج، وكراسي من الحديد المحلى بالذهب، فاستجاب الإمبراطور البيزنطي لذلك المطلب، بل وقام بتحميل الرسول الكثير من الهدايا السَنية(٢).

وفي عهد الخليفة العباسي **المقتدر** وصله رسول من ملك الروم محملاً بالهدايا القيمة(٣).

أما بالنسبة للعلاقات السياسية والدبلوماسية التي تشكلت ما بين الدولة العباسية والإمبراطورية الغربية فقد بدأت منذ عهد الخليفة العباسي **المنصور** حيث أرسل الملك الميروفنجي بيبين القصير (١٢٠هـ/٧٣٨م) سفارة إلى الخليفة المنصور مكثت ثلاث سنوات ثم عادت إلى بلادها مصحوبة بالهدايا القيمة للملك من قبل المنصور، كذلك أوفد المنصور سفارة إلى بيبين عادت هي الأخرى محملة بالهدايا للخليفة المنصور(٤).

وأما في عهد الخليفة العباسي **الرشيد**، فقد ذاع صيته وطبق الآفاق ذكره، وأرسلت بلاد الهند والصين وأوروبا رسلها إلى بلاطه تخطب وده، وتطلب صداقته،

(1) بغداد في عهد الخلافة العباسية، لسترانج: ص١٢٧.
(2) الخطط، للمقريزي، ج٢، ص١٠٤.
(3) تجارب الأمم، لمسكويه، ج١، ص١٣٩.
(4) دولة بني العباس، ج٢، ص٣٤٢؛ العلاقات الخارجية في العصر الإسلامي، ص٥٥.

لخوفهم وإجلالهم له، وكانت سفارة «شارلمان» ملك الفرنجة من أشهر تلك السفارات، فقد جاءت لتوثيق العلاقات بين الدولتين، وذلك في سنة (١٨٣هـ= ٧٧٩م)؛ حيث أرسل الإمبراطور شارلمان إلى الرشيد هدايا قيمة أظهرت مدى التقدير والاحترام الذي يكنه شارلمان للخليفة ودولته، وحرصه على توثيق عرى العلاقات الاقتصادية ما بين الشرق الإسلامي وبلاده، والحد من النفوذ البيزنطي والبندقي على البحر المتوسط[1]، وقد أحسن الرشيد استقبال الوفد، وأرسل معهم عند عودتهم هدايا قيمة، كانت تتألف من حيوانات نادرة، منها فيل عظيم، اعتبر في أوروبا من الغرائب، وأقمشة فاخرة وعطور، وشمعدانات، وساعة كبيرة من البرونز المطلي بالذهب مصنوعة في بغداد، وحينما تدق ساعة الظهيرة، يخرج منها اثنا عشر فارسًا من اثنتي عشرة نافذة تغلق من خلفهم، وقد تملك العجب شارلمان وحاشيته من رؤية هذه الساعة العجيبة، وظنوها من أمور السحر[2].

كما أرسلت الإمبراطورة برتا حفيدة شارلمان إلى الخليفة العباسي **المكتفي** هدايا قيمة من سيوف وتروس ورماح وثياب منسوجة بالذهب، وثياب من الصوف، وخدم وجواري صقالبة وعدد من الصقور وغيرها من الهدايا السنية، وقد أرسلت مع الهدايا كتاباً إلى المكتفي أبدت فيه رغبتها في استمرار وتحسين العلاقات ما بين البلدين خاصة العلاقات الاقتصادية، وقد رد الخليفة على كتابها بالقبول وأنه لا يقل رغبة عنها في ذلك الأمر[3].

(1) buckler. Harun al Rashid and Charles the creat (Massachusetts, 1931, p. 170 off

(2) دولة بني العباس، ج٢، ص٣٩٩؛ العلاقات الخارجية في العصر الإسلامي، ص٧١؛
eginhard vie de charlemagne, publ. avec trad. Francaise par l. halphen, 2e. ed. Paris, 1938. Pp 92,95

(3) الذخائر والتحف، لابن الزبير ، ص٤٨.٤٩.

المطلب الثالث

تعدد طرق التجارة بين الدولة العباسية وأوروبا

لقد ارتبطت مراكز التجارة في الدولة العباسية بأوروبا بعدد من الطرق، فمن أهم الطرق التي كانت تربط الدولة العباسية ببيزنطة الطريق الساساني القديم حيث كانت تجارة الشرق القادمة من الصين والهند وأواسط أسيا تمر عبر التركستان إلى بحر قزوين ثم تسير إما عن طريق الشمال إلى نهر الفولجا فالبحر الأسود عند خيرسون، أو تخترق الطريق عبر شمال إيران إلى نصيبين على الحدود البيزنطية، أو عن طريق أرمينية إلى طرابزون، وقد تجتاز بلاد الهند وأفغانستان ووسط فارس إلى نصيبين أو إلى القسطنطينية وباقي نواحي عالم البحر المتوسط[١].

أما بالنسبة لأوروبا الغربية أو الدولة (الكارولونجية)، فكان التجار عادة يسلكون الطريق البحري إلى سواحل البحر أفريقيا والبحر المتوسط، وكان غالبية هؤلاء التجار من اليهود وسمو بـ (تجار البحر)، وكانوا يتكلمون عدد من اللغات كالعربية والفارسية والرومية والصقلبية والسلافية، وعادة من يفدون إلى الشرق ثم يعودون إلى الغرب بحراً حاملين من الغرب الجواري والخدم والغلمان والديباج والخزر والجلود والفراء والسيوف[٢]، وتبدأ رحلتهم من مقاطعة بروفانس في بلاد الفرنجة (فرنسا)، ويركبون البحر المتوسط حتى الفرما وهي مدينة بمصر بلغت أهميتها التجارية في القرن (٤هـ/ ١٠م)، يقول عنها المسعودي: (فجميع البلدان تحمل إليها وتفرغ فيها)[٣].

(1) العصر العباسي الأول، ج١، ص١٩؛ دولة بني العباس، ج١، ص٣٦٥؛ التجارة والاقتصاد عند العرب، لصبحي محمد ص٥٥

(2) المسالك والممالك، لابن خردازية، ص١٥٣؛ H. pirenne 79.cit.p

(3) التنبيه والإشراف، المسعودي ، ص١٩.

وعند وصول التجار اليهود إلى الفرما يقومون بحمل بضائعهم على ظهور الدواب إلى البحر الأحمر، ثم يبحرون على متن السفن مارين بموانئه الهامة كجدة، ويواصلون سيرهم إلى بحر العرب متجهين إلى ميناء عدن، ثم يتجهون إلى السند والهند والصين، وفي رحلة العودة كانوا يحملون معهم منتجات الشرق مثل المسك والعود والكافور والصيني وغير ذلك، متخذين من نفس الطريق الذي أتوا منه سبيلاً حتى يصلوا إلى أوروبا، أو يتجهون من البحر المتوسط إلى القسطنطينية ليبيعوا بضائعهم هناك(١).

وهناك طريق بحري آخر كان التجار يسلكونه وهو من فرنسا إلى سواحل بلاد الشام المطلة على البحر المتوسط، ومن هناك يتفرع إلى العراق والخليج العربي وبلاد الهند والصين، أو عن طريق عبور التجار من فرنسا وإيطاليا بلاد الأندلس إلى مضيق جبل طارق ومنه إلى الساحل الشمالي لأفريقيا وبلاد المسلمين(٢).

ولم يكن أمر الاتجار بالبضائع في أوروبا الغربية قاصراً على التجار اليهود والفرنج، بل وصل التجار المسلمون ببضائعهم إلى المراكز الأوروبية، فقد وصل التجار المسلمون إلى مدينة اكس لاشابل «آخن» قاعدة شارلمان(٣)، كذلك وصلت قوافلهم إلى مدن كثيرة بجنوب فرنسا كتور وناربون وبوردويل، ومما يدل أيضا على وصول التجار المسلمين إلى أماكن بعيدة في أوروبا ومدى التعامل التجاري القائم آنذاك العثور على الكثير من النقود الإسلامية في اسكندناوة والسويد تحمل نقوشاً تاريخها يعود إلى ما بين القرنين (٢هـ - ٥هـ /٧م - ١١م)، ومن البضائع التي كانوا

(1) المسالك والممالك، ص١٥٤؛ العالم الإسلامي في العصر العباسي، ص٢١١.
(2) التطور الاقتصادي خلال العصر العباسي الأول، ص٤٠٠.
(3) في التاريخ العباسي والفاطمي، أحمد مختار العبادي: ص٩٠.

يتاجرون بها في أوروبا الجلود والحرير والعطور، والبلح والأرز والبردي والمكسرات كالفستق واللوز، وكذلك الحمص الشامي والتين والفلفل الأحمر والتوابل كالفلفل والقرفة والكمون والقرنفل والهرد[1].

(1) العالم الإسلامي في العصر العباسي، حسن أحمد محمود: ص٢١١؛ خطط الشام، كرد علي: ج٤، ص٢٨٥؛ H. pirenne cit.p.63.

المطلب الرابع
السيطرة على الطرق والمسالك التجارية

لقد عمل العباسيون على إحكام سلطانهم على المناطق الخاضعة لحكمهم والمتاخمة للدول المناوئة لهم، واتخذت البحرية الإسلامية العباسية إبان قوتها وأوج عظمتها سواء كانت العسكرية منها أو التجارية قواعد لها في الجزر المتناثرة في البحر المتوسط في قبرص ورودس وكريت وصقلية دون أن تلقي اعتراضاً أو مناوئة، واتخذت مراكز لها في صور والشام والإسكندرية وطرابلس الشام وبيروت وعكا[1]، إلا أن تأثير انتقال العاصمة الإسلامية في العصر العباسي من دمشق إلى بغداد وكذلك كثرة الولايات المنشقة عن الدولة العباسية خاصة في القرن الـ(٤هـ/ ١٠م)، ووجود الدولة الفاطمية في شمال أفريقيا ومصر كان له دور في تقليص النفوذ العباسي التجاري في شمال أفريقيا، فاتجهت الدولة إلى الشرق حيث سيطرت الدولة على معظم الطرق الموجودة في منطقة فارس وآسيا الصغرى، مما أتاح الفرصة للبيزنطيين في أن يبنوا لهم أسطولاً حربياً وتجارياً سيطر على منافذ التجارة في البحر المتوسط إبان القرن (٣هـ/٩م)، والتي امتدت حتى نهاية القرن (٤هـ/ ١٠م)، وكان على القوافل الشرقية الذاهبة إلى فرنسا وإيطاليا أن تمر بمخازن البسفور، وقد انفردت السفن البيزنطية بنقل التجارة إلى موانئ أوروبا، وقد جنت بيزنطة من وراء هذا الاحتكار التجاري أرباحاً كثيرة، كما كان من أكبر عناصر قوة الإمبراطورية[2]، لكن قوة الإمبراطورية البيزنطية لم تستمر طويلاً، فقد فقدت بيزنطة سيطرتها التجارية مع نهاية القرن (٤هـ/ ١٠م) ولعل السبب يعود إلى ظهور المدن التجارية الإيطالية كالبندقية وبيزا وجنوة في

(1) التجارة والاقتصاد عند العرب، الصبحي: ص٥٩.
(2) القوى البحرية والتجارية في حدود البحر المتوسط، أرشيبالد: ص١٩٨.

حوض البحر المتوسط كقوة تجارية نشطة، قامت بنقل تجارات أوروبا إلى الشرق التي كانت تصل إليها من إيطاليا ودول أوروبا الأخرى(١).

ويعود النفوذ الكبير الذي حصلت عليه البندقية إلى الإمبراطور البيزنطي «ألكسيس كومنين» الذي منحهم امتيازات واسعة في مجال التجارة، فقد فتح لهم طريقاً للشرق موئل الغنى الوافر، فنجحت المدن التجارية الإيطالية كالبندقية وجنوة وبيزا في تدعيم مراكزهم في موانئ الشام، وأخذ ترددهم على القسطنطينية يقل تدريجياً، فتوقفت تجارة أوروبا مع الشرق الأقصى وبلاد الإسلام مع المرور في مضيق البسفور، وأصبحت البندقية وجنوة هي الأسواق التي تبحث فيها فرنسا وإيطاليا وألمانيا عن البضائع الشرقية التي تلزمها، أيضاً كان لاستيلاء السلاجقة على أجزاء كبيرة من آسيا الصغرى بالإضافة إلى الحروب الصليبية لها الأثر الكبير في اضمحلال بيزنطة تجارياً، فقد تسببت هذه الحروب في تغيير طرق التجارة العالمية(٢).

هذا بالنسبة للدولة البيزنطية أما دولة أوروبا الغربية فقد كان لـ«شارلمان» إمبراطور أوروبا الغربية دور كبير في تقليص النفوذ التجاري البيزنطي، حيث عمل على إنشاء أسطول بحري قوي في مياه البحر المتوسط، كذلك مد نفوذه على جزر البليارد وسردينية وجنوب إيطاليا، وحاول السيطرة على البندقية وايستريا ودلماشيا، لتحطيم الاحتكار التجاري البيزنطي(٣).

---

(1) البندقية، جمهورية أرستقراطية، شارل ديل: (ترجمة الدكتورين: عزت عبد الكريم وتوفيق إسكندر، القاهرة، ١٩٤٨م)، ص ٢١

schaube, adolf. Handelsgeschte der. romanischen Volker des mittelmurs gebietes bis zum ende der kreuzzuge. Berlin 1906. pp82.

(2) الحضارة البيزنطية، رنسيمان: ص٢٠١؛ دراسات في التاريخ البيزنطي، إبراهيم أحمد العدوي: (المجلة التاريخية المصرية، ج٢، عدد ٢، أكتوبر، ١٩٤٩م)، ص ٨١.

(3) النهضات الأوروبية في العصور الوسطى وبداية الحديثة، عاشور وأنيس: ص٣٦.

H. pirenne cit. p77.

المبحث الثاني
مظاهر العلاقات الاقتصادية بين الدولة العباسية وأوروبا
المطلب الأول
المراكز التجارية

اهتم الخلفاء العباسيين بمحطات وطرق التجارة فيما بينهم وبين بلاد الروم، فزودوها بالخانات ليستريح به التجار والمسافرون وليحتموا بها من البرد والثلوج، وقد زودت هذه الخانات بالطعام والشراب لهم، والشعير والتبن علفاً لدوابهم، مقابل مبلغ معين من المال(١)، كذلك حرصت الدولة على تأمين طرق التجارة الدولية وتقديم العون للمتضررين بهذا القطاع(٢).

كذلك اهتمت الدولة بالمراكز التجارية بها والتي منها:

مدينة «**بغداد**» حاضرة الدولة العباسية فهي من أعظم المدن التي نالت أهمية تجارية لموقعها الاستراتيجي حيث أنها تقع على نهر دجلة وتقترب من نهر الفرات، وقد تقاطرت عليها سلع الشرق والغرب، وامتلأت أسواقها بنفائس المدن، وقصدها التجار من كل حدب وصوب(٣).

كذلك اشتهر ميناء «**البصرة**» بالحركة التجارية النشطة، فهو يتصل بأواسط آسيا عن طريق الأهواز ويمر به طريق القوافل التجارية القادمة من جزيرة العرب، وترسوا به السفن القادمة من عُمان(٤).

---

(1) أثار البلاد، القزويني: ص٥٣٢؛ البنية الإدارية للدولة العباسية في القرن ٣هـ/ ٩م، عبد الكريم الحتاملة: ص٨٤.
(2) تحليل الفكر الاقتصادي في العصر العباسي الأول، عصام عباس النقلي: ص٣٥٠.
(3) كتاب البلدان، البعقوبي: ص٢٣٣؛ الرحلة، بنيامين التطلي: ص١٣٩.
(4) كتاب البلدان، اليعقوبي: ص٣٢٣؛ تاريخ التمدن الإسلامي، جورجي زيدان: ج٢، ص١٧.

كذلك تعتبر موانئ «البحرين وعمان والقطيف» من أهم مراكز التجارة في الجانب الغربي للخليج العربي حيث لعبت هذه الموانئ دور عام في تجارة اللؤلؤ(١).

كذلك اعتبر ميناء «عدن» على ساحل البحر العرب مرسى مهم للسفن القادمة من الصين والهند وبلاد الزنج والحبشة، وكانت السلع والبضائع القادمة من الشرق والغرب تتجمع فيه(٢).

وعلى سواحل البحر الأحمر وجد ميناء «جدة» وكان في ذلك الوقت مركز تجاري هام لإقليم الحجاز فكانت السفن تقصده إما للتجارة أو لأداء فريضة الحج(٣)، بالإضافة إلى ميناء «عيذاب» وكان مقصد التجار من مصر واليمن والسودان(٤)، أما بالنسبة لمدينة «القلزم» فقد كانت مخزناً تتجمع فيه التجارات الواردة من الشرق عن طريق البحر الأحمر ومن الغرب عن طريق البحر المتوسط، وكانت توجد به أنواع الأمتعة والتحف والطيب والعقاقير والجواهر والرقيق والملابس والمآكل والمشارب، وقد حقق أهلها ثروة ويسار نتيجة ممارستهم لمهنة التجارة(٥).

أيضاً نالت مدينة «الفسطاط» شهرة واسعة في مجال التجارة الداخلية والخارجية، فعندها تلتقي قوافل التجار القادمة من الشرق ومن العراق والشام وتحيط بها قوافل التجار القادمة من المغرب والأندلس وبلاد الروم، ويؤكد ذلك المقدسي بقوله عن ميناء الفسطاط أنه: (يجئ أبداً إليه ثمرات الشام والمغرب وتسير

(1) صورة الأرض، ابن حوقل: ص٣٨.
(2) نخبة الدهر: شيخ الربوة: ص٢١٦؛ أحسن التقاسيم، المقدسي: ص٨٥.
(3) صبح الأعشى، القلقشندي: ج٤، ص٢٥٨.
(4) نخبة الدهر، ص٢٦٩.
(5) التنبيه والأشراف، ص١٩؛ البلدان، ص٣٤٤.

الرفاق إليه من العراق والمشرق، ويقطع إليه مراكب الجزيرة والروم، تجارته عجيبة ومعايشه مفيدة، وأمواله كثيرة)[١].

أما «الإسكندرية» فقد كانت من كبريات المدن التجارية على البحر المتوسط، فقد فتحت أبواب مينائها لمراكب الروم والبنادقة وغيرهم، وفي الميناء كانت تتم عمليات التبادل للسلع والبضائع بين التجار الشرقيين والغربيين، ويذكر بنيامين التطلي حين زار الإسكندرية عن تجارتها فقال: (والإسكندرية بلدة تجارية فيها أسواق لجميع الأمم، يؤمها التجار من الممالك النصرانية كافة)[٢].

ومن المراكز التجارية البيزنطية: مدينة «القسطنطينية» فهي من أهم المراكز التجارية مع الشرق الإسلامي والدولة العباسية، فقد أصبحت تعج بنشاط تجاري نشط نتيجة للتبادل التجاري بنيها وبين الدولة العباسية، فكثر تردد التجار العرب وغيرهم عليها وأصبحت لا يباريها أحد في مضمار التجارة سوى بغداد، وكانت تمتاز بجمال أسواقها وكثرة فواكهها ورخص أسعارها[٣].

وقد وضعت القسطنطينية نظاماً رقابياً مشدداً على السفن الداخلة إليها خلال مرورها بين مضيقي البسفور والدردنيل، وقد وصف لنا المسعودي ذلك الأمر بقوله: (وكان على هذين الجبلين حرس على كل جبل عشرون رجلاً يحرسون المراكب إذا دخلت ويفتشونها، وكانت فيه سلسلة تفتح وتغلق في عمودي حديد من هذا الجانب إلى ذلك الجانب، وهو باب الخليج الذي يحاصر به القسطنطينية)[٤].

(1) أحسن التقاسيم، ص١٩٩.
(2) الرحلة، ص١٧٨.
(3) أحسن التقاسيم، ص١٤٨.
(4) التنبيه والإشراف، ص١٢٢.

وقد أقامت الدولة البيزنطية وكالتين للتجارة العربية بالمدينة، أحدهما لتجارة الحرير الفاخر والأخرى لتجارة التوابل والعطور، وقد عومل التجار العرب والمسلمين المختصون بتجارة المنسوجات الحريرية والكتانية أثناء إقامتهم بالقسطنطينية معاملة طيبة من بين سائر التجار الأجانب[1].

ومن المدن التجارية البيزنطية مدينة «سيواس»، وهي من مدن الروم المشهورة بكثرة خيراتها وثمارها، وكانت مقراً لمعظم تجار المسلمين والنصارى[2]، وأما أهم موانئ الدولة البيزنطية والذي لعب دوراً كبيراً في التجارة الدولية بين الروم والعباسين فهو ميناء «طرابزون»، والذي يقع على البحر الأسود ويتميز بالأمن والبعد عن الهجمات البحرية ويعد من أشهر منافذ التجارة القادمة من العراق ومن نواحي المشرق إلى بلاد الروم، وكانت البضائع القادمة من الشرق تنقل منه إلى القسطنطينية، ومنها كانت السلع والبضائع توزع على بلاد البحر المتوسط، وقد كان من نتيجة الانتعاش التجاري الذي عم هذا الميناء أن أثرى أهله ثراءً كبيراً، وعظمت التجارة في أسواقه، فكان يباع فيه الديباج والثياب الكتاب والثياب الصوفية، بالإضافة إلى الأكسية الرومية والتي تنقل إلى بلاد المسلمين[3].

وبالإضافة إلى المراكز التجارية فقد خصصت الدولة البيزنطية للتجار العرب وغيرهم من الوافدين عليها خانات لينزلوا بها وليحفظوا سلعهم فيها، وكان التجار يدفعون مقابل تلك الخدمات رسوماً معينة، ولا يسمح لهم أن يقيموا بالمدينة أكثر من ثلاثة أشهر، وكانت أكبر جالية للمسلمين تقيم في مدينة طرابزون، وكان على التجار

(1) الحدود الإسلامية البيزنطية، فتحي عثمان: ص٢٤٩. ٢٥٠.
(2) آثار البلاد وأخبار العباد، القزويني: ص٥٣٧.
(3) صورة الأرض، ص٣٤٤.

العربي والمسلمين وغيرهم أن يبيعوا خلال هذه المدة المحدودة لهم ما لديهم من السلع ويستروا سلعاً أخرى إذا رغبوا في ذلك، وإذا لم يتمكن أحد التجار من بيع ما عنده من سلع خلال المدة المحددة فعليه أن يبلغ الحاكم بذلك حتى يتسنى لحاكم المدينة أن يقوم بما يلزم للتخلص من الفائض، وكان كل من يخالف هذه الأوامر يعرض نفسه للجلد وقص الشعر ومصادرة أمواله(١).

أيضاً ومن باب تنشيط التفاعل التجاري بين الروم والعباسيين حرصت الروم على إقامة أسواق خاصة تتبادل فيها تجارة الشرق والغرب، ومن أهم أسواق الروم سوق «بيلة»، وكان يعقد مرة في أول الربيع من كل عام مدة أربعين يوماً، ويأتيه الناس من جميع الأنحاء والجهات، لشراء بضائعه المتنوعة ما بين الخيل والبغال والثياب الأطلس والفراء والجواري(٢).

أما بالنسبة لأوروبا الغربية فقد اهتم الإمبراطور «شارلمان» بتحسين طرق المواصلات في بلاده، خاصة المتصلة بنهر الرون والدانوب، كذلك اهتمت الدولة بالمراكز والمدن التجارية خاصة مدينة «سبتمانية» ومقاطعة «بروفانس» ومدينة «بنم» و«واجلون» و«آرل»(٣).

(1) الحسبة في بيزنطة، العريني: ص١٥٥.
(2) أثار البلاد وأخبار العباد، ص٥٣١.
(3) النهضات الأوروبية في العصور الوسطى وبداية الحديثة، عاشور وأنيس: ص٧٦.

المطلب الثاني
النظم الاقتصادية

وضعت الدولة العباسية نظماً اقتصادية ساعدت على ازدهار الحركة التجارية، وانتعاش العلاقات الاقتصادية، ومن ذلك تنظيم ما يؤخذ من التجار بحيث لا يزيد عن العشر، وابتكار أنظمة العقود والصكوك والسفاتج(1) مما يريح التعامل المالي ويضبطه، وفيما يلي بيان لأهم ملامح ذلك:

لقد فرضت الدولة العباسية العشر(2) على أهل الذمة إذا ما جازوا بلاد المسلمين في تجارة لهم، حيث يذكر صاحب كتاب الخراج: (إن ضريبة العشر لا تؤخذ من رسل الملوك الذين يفدون على خلفاء المسلمين، أما إذا كان لديهم متاع للتجارة فإنه يؤخذ منهم العشر)(3).

وكان المسلمون يتقاضون من التجار الغربيين والروم الواردين على الثغور الإسلامية خمس قيمة السلعة، وذلك حسب أنواع السلع وجنسيات التجار، وكانت الرسوم تنخفض على السلع التي تشمل الخشب والحديد، نظراً لحاجة الدولة لمثل هذه السلع، أيضاً هناك رسوم إضافية مقابل استخدام التاجر للمترجمين والحمالين

---

(1) السفاتج جمع سُفتجة، هي كتاب صاحب المال لوكيله أن يدفع مالا قرضا يأمن به من خطر الطريق، الفيومي، المصباح المنير في غريب الشرح الكبير (١/ ٢٧٨).

(2) العشر: بضم فسكون، والجمع عشور وأعشار، ما يؤخذ من تجارة أهل الحرب، وأهل الذمة عندما يجتازون بها حدود الدولة الإسلامية، وقد كان يؤخذ في القديم عشر ما يحملونه، قلعجي، معجم لغة الفقهاء (ص: ٣١٢).

(3) الخراج، لأبي يوسف، ص١٦٨، وأول من أوجد ضريبة العشر الخليفة الراشد عمر بن الخطاب، وهي ضريبة مفروضة على الأموال التجارية الصادرة والواردة إلى الدولة الإسلامية، أنظر عبد اللطيف بدوي: الميزانية الأولى في الإسلام، ص٢٣.

تقوم الدولة بأخذها[١]، وتأخذ الضرائب من التاجر عند انتقاله من بلد إلى أخر مرة واحدة في السنة حتى وإن تكرر انتقاله بتجارته عدة مرات في السنة داخل البلد الواحد نفسه[٢].

وكان بالضرورة مع الانفتاح الاقتصادي الذي حدث في الدولة العباسية أن يتم التصوير في كيفية المعاملات مع الالتزام بالنظام الاقتصادي الإسلامي، فكان أن تم تطوير **«نظام الحوالة»** بأن ظهرت الصكوك والعقود[٣]، فالصكوك عبارة عن ورقة مالية تكتب فيها قيمة الاستحقاق المالي وكان الجهابذة[٤] يصرفون قيمة هذه الصكوك لأصحاب الأموال التي أودعوها عندهم لقاء رسم معين، وبذلك نشأت المصارف في زمن لم يكن العالم يعرف فيه المصارف، أما **العقود** فكانت موثوقة مكتوبة بشروطها كتحديد السعر وموعد الدفع والأقساط ونوع البضاعة ووصفها[٥]، ولقد استخدم التجار المسلمون والعرب الصكوك المصرفية العربية مقام النقود في بلاد الغرب[٦].

وأما **السفتجة**، فهي خطاب يذكر فيه قيمة معينة من المال قابلاً للصرف في أي مكان من العالم به عملاء الشخص الذي حرر السفتجة، وكان هذا النظام معروفاً في عهد الصحابة رضي الله عنهم، إلا أن التعامل به على النطاق الواسع لم يكن إلا في

(1) تاريخ الإسلام، حسن إبراهيم حسن: ج٤، ص٤١٣؛ تاريخ التمدن الإسلامي، ج٢، ص٩٣.
(2) المؤسسات الإدارية في الدولة العباسية، حسام الدين السامرائي: ص٣٨.
(3) العالم الإسلامي، ص٢١٤.
(4) الجهابذة جمع جِهبذ: وهو النقاد الخبير بغوامض الأمور، البارع العارف بطرق النقد، وهو معرب، تاج العروس للزبيدي، (٩/ ٣٩٢).
(5) العالم الإسلامي، ص٢١٥.
(6) القوى البحرية والتجارية في البحر المتوسط، أرشيبالد: ص٢٦٣.

العهد العباسي، وقد بلغ من قوة تأثير الدولة الاقتصادي أن سفاتج التجار المسلمين كانت تصرف في البلاد غير الإسلامية.

واستتبع ذلك تطوير في نظام الجمركة، فوضعت **التعرفة الجمركية** والتي اختلفت من بلد لآخر، كما أن ملحوظات الإمام أبي يوسف كان لها الدافع القوي في التوسع العظيم في التجارة الدولية، ولا سيما بعد تطبيق النظام الشرعي الذي وضعه في كتابه (الخراج)(١).

وقد عمدت بعض المدن الرومانية على أخذ ضريبة من التجار المسلمين الذاهبين إلى بلاد الروم، ومنها مدينة طرابزون، فكانت تأخذ ضريبة على الداخل والخارج منها، وكذلك الحال في مدينة متلى وملطية وشمشاط وغيرها(٢).

وفي بعض الأحيان كانت الدولة الرومانية تعفي بعض السلع المستوردة من الشرق من الضرائب كالتوابل خاصة الفلفل، حيث كان الناس لا يستغنون عنه في تهيئة طعامهم، كما كان المتطببون في تلك الأيام يستعملونه دواء أو يدخلونه في مركباتهم الطبية، كذلك أعفت الدولة الرسوم على ورق البردي، وكانت مصر مصدره الوحيد، ويستعمل للكتابة عامة، وفي تركيب ذبالات مصابيح الزيت، وكان يصدر من الإسكندرية في مقادير كبيرة وبطريقة منظمة، وكانت «مرسيليا» ميناءه الكبرى في أوروبا، فكان تجار هذا الثغر يودعونه في مخازنهم ليحمله التجار بعد ذلك إلى إيطاليا و«غالة» وإسبانيا وغيرها من بلاد غربي أوروبا.

والصنف الثالث هو الزيت، ويستعمل في طهو الطعام، وفي إنارة المصابيح وكانت أوروبا تستورد منه كميات كبيرة من بلاد المغرب خاصة(٣).

---

(1) العالم الإسلامي د. حسن محمود، ص ٢١٦، وراجع الخراج لأبي يوسف ص ١٣٢.
(2) صورة الأرض، ص١٩٨.١٩٩.

(3) H. pirenne, cit. p.72.

المطلب الثالث
حجم التبادل التجاري بين الدولة العباسية وأوروبا

من أكبر مظاهر التقدم والازدهار في العلاقات بين الدولة العباسية وأوروبا الأثر الناجم عن هذه العلاقات، والذي يترجمه بوضوح الحجم الكبير في التبادل التجاري بينهما، ونوعية البضائع المترددة بين العباسيين وأوروبا.

فلقد حمل التجار العرب والمسلمون واليهود والأوروبيون إلى بلاد أوربا النفائس النادرة والتحف الشرقية، والأقمشة الموصلية والدمشقية والحرير الحلبي والسلع الهندية النادرة مثل الجواهر والعطور الزكية الرائحة كالبخور، واللبان الجاوا وخشب الصندل والمسك والعنبر، والتوابل والعاج، وأوراق البردي والمنسوجات القطنية والكتانية والبسط من مصر(١).

وفي المقابل كان يأتي من بلاد الروم والغرب الحبوب والخل والشمع والصمغ والعسل والأقمشة، والخدم والجواري والغلمان والرقيق وجلود الخز والفراء السمور، والمعادن كالحديد والقصدير والزيوت، وكان لملوك فرنسا تجارهم الخواص الذين يذهبون كل عام إلى الشرق ليبتاعوا لهم من حاصلاته(٢).

كذلك قامت المدن التجارية الإيطالية كالبندقية وجنوة وبيزا بدور كبير في نقل بضاعة الغرب إلى الشرق والشرق إلى الغرب، فكانت تنقل من أوروبا إلى الشرق الإسلامي الفواكه المجففة واللحوم والأسماك المجففة والمعادن الخام والمصنوعة،

(1) الحدود الإسلامية البيزنطية، ص٢٤٩. ٢٥٠،

(2) النهضات الأوروبية في العصور الوسطى وبداية الحديثة، ص٧٥؛ كرد علي: خطط الشام، ج٤، ص٢٩٢؛ شاكر مصطفى: دولة بني العباس، ج١، ص٣٨٢؛ الصبحي: التجارة والاقتصاد عند العرب، ص٣١؛ سانت موس: ميلاد العصور الوسطى، ص٣٧٩.
Henri pirenne: mahometet et Charlemagne (2e,paris-bruxelles, 1937) pp. 58-61

ومواد البناء والأخشاب، وكذلك المنسوجات مثل القنب والصوف والأجواخ والفرو، وقد فتحت بلاد الشرق أبوابها لهذه السلع، وكان البنادقة والجنويون ينقلون من الشرق مقابل هذه السلع الفواكه وأسماك البحر الأسود والسكر والمسك والفلفل والقرنفل والكافور والصبر واللبان والأدهان وخشب الصندل والصمغ والأقمشة القطنية والحريرية المصبوغة باللون القرمزي والموشحة بالفضة والذهب، واللآلئ والأحجار الكريمة وأواني الزجاج والخزف والعاج والشب والعنبر والذهب، وقام تجار البندقية بتوزيع هذه السلع على معظم أنحاء أوروبا[١].

كذلك لعبت قوافل الحجيج المسيحيين القادمين من أوروبا الغربية إلى بيت المقدس للزيارة دوراً كبيراً في إبراز أهمية الشرق التجارية، فكانوا عند عودتهم ينقلون معهم بعض المنتجات الشرقية كالمنسوجات والزخارف والزجاج، وقد استحسنت أوروبا هذه المنتجات وزاد الإقبال عليها[٢].

(1) البندقية جمهورية أرستقراطية، ص٣٦؛ الحضارة البيزنطية، ص٢٠١.
(2) ميلاد العصور الوسطى، سانت موس: ص٣٧٩.

الخاتمـــة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات

الحمد لله الذي من بإتمام هذا البحث، والذي يمس جانباً مهماً من تاريخ حضارتنا الإسلامية، وعلاقة الدولة المسلمة مع غير المسلمين.

وقد حوى البحث عدداً من **التتائج**، ولعل أبرزها:

- خلصت في التمهيد إلى وجود علاقات سلمية بين الدولة الإسلامية وغيرها من الدول في وقت السلم والهدنة، وذلك منذ الدولة الإسلامية الأولى بالمدينة النبوية، وأن ازدهار هذه العلاقات إنما كان في وقت دون وقت بسبب عوامل تتعلق بالدعوة والجهاد وغير ذلك.

- أما المبحث الأول فقد تبين لي فيه أن العلاقات العباسية الأوروبية كانت في أوج الازدهار مقارنة بما كان من علاقات قبل ذلك مع الدولة الأموية وغيرها، وذلك يعزى إلى عدة أسباب، تبين لي في المطلب الأول، السبب الأول من أسباب الازدهار وهو استتباب الأمن وازدهار الحياة الاقتصادية، فقد وضح لنا ارتباط ذلك الوثيق بازدهار العلاقات طرداً، بحيث ازدادت هذه العلاقات مع الحاجة الملحة إلى التبادل التجاري الآمن بين العباسيين وأوروبا.

- وأما المطلب الثاني؛ فخصصته لبيان أثر العلاقات السياسية والدبلوماسية على ازدهار العلاقات، وأن ذلك كان يؤثر بشدة على نمو هذه العلاقات، وضربت أمثلة لذلك على مر الدولة العباسية.

❁ وأما المطلب الثالث؛ فكان لبيان أثر تعدد طرق التجارة العالمية على ازدهار العلاقات، وكيف كانت الطرق العالمية التي يمر بها تجار ممالك أوروبا (البيزنطيون والكالورونجيون)، محدثة أثر إيجابي في ازدهار تلك العلاقات.

❁ وأما المطلب الرابع؛ فكان لبيان تأثير السيطرة على الطرق والمسالك التجارية على العلاقات، حيث اضطر كل طرف تحسين علاقاته مع الطرف الذي كان يسيطر على تلك الطرق.

❁ وفي المبحث الثاني تكلمت على أهم مظاهر العلاقات الاقتصادية بين الدولة العباسية وأوروبا، فتكلمت في المطلب الأول عن أهم المراكز التجارية في الدولة العباسية وأهم المراكز التجارية في أوروبا الشرقية وأوروبا الغربية، وفي المطلب الثاني؛ تحدثت عن النظم الاقتصادية والجمركية التي اتبعت لتسهيل الحركة التجارية بين العباسيين وأوروبا، وأما في المطلب الثالث؛ فقد بينت حجم التبادل الاقتصادي كأثر واضح على ازدهار تلك العلاقات.

** ولعل أهم **التوصيات والمقترحات** في البحث:

❁ العمل على إظهار الصورة المشرقة للتاريخ الإسلامي في السياسات «**الاقتصادية**» الخارجية للدولة الإسلامية في فترات بحث أخرى غير العصر العباسي.

❁ بحث أنواع العلاقات الأخرى «**السياسية**» و«**الاجتماعية**» وأثرها على السياسة الخارجية للدولة الإسلامية على مر التاريخ.

وأخيراً فهذا جهد المقل أحببت أن أصوغ فيه فكرة عامة عن العلاقات الاقتصادية العباسية الأوروبية شاهدة على النظم الرائعة التي تحكم المسلمين سلماً وحرباً، وأدلي في هذا الجانب بما يرد على أصحاب الصراعات مقولتهم، وصدق الله

﴿كُلَّمَآ أَوۡقَدُواْ نَارٗا لِّلۡحَرۡبِ أَطۡفَأَهَا ٱللَّهُۚ وَيَسۡعَوۡنَ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَسَادٗاۚ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُفۡسِدِينَ﴾ [المائدة:٦٤] وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، وصلي الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

ملحـــــق
للتعريف بالمدن والمواقع الواردة في البحث

أذرح: بالفتح ثم السكون وضمّ الراء، والحاء المهملة: جمع ذرح: اسم بلد فى أطراف الشام، من نواحى بلقاء وعمان، [انظر: مراصد الاطلاع (١/ ٤٧)].

الإسكندرية: بنى الإسكندر ثلاث عشرة مدينة وسمّاها كلّها باسمه، ثم تغيّرت أساميها بعده، والإسكندرية: قرية بين مكة والمدينة. والمشهورة بهذا الاسم الإسكندرية العظمى فى بلاد مصر. [انظر: مراصد الاطلاع (١/ ٧٦)].

أصبهان: مدينة عظيمة مشهورة من أعلام المدن وأعيانها بفارس. وأصبهان: اسم للإقليم بأسره. [انظر: مراصد الاطلاع (١/٨٧)].

إكس لاشبل: هي مدينة «**آخن**» الألمانية، وهي مدينة تقع في غرب ولاية نوردراين- فيستفالن في غرب ألمانيا، يُطلق عليها الفرنسيون اسم اكس لاشابيل، وتقع هذه المدينة قرب الحدود الألمانية مع كل من هولندا وبلجيكا. [انظر: موقع المعرفة http://www.marefa.org].

إيستريا: هي شبه جزيرة تقع في شمال شرق البحر الأدرياتيكي بين خليج تريستي وخليج كفرنر. وهي مقسمة بين كرواتيا وسلوفينيا ومعظمها يقع بكرواتيا، وأكبر مدنها هي بولا. [انظر: موقع المعرفة http://www.marefa.org].

أيلة: بالفتح: مدينة على ساحل بحر القلزم مما يلى الشام. قيل هى آخر الحجاز وأول الشام. وهى مدينة اليهود الذين اعتدوا فى السبت. [انظر: مراصد الاطلاع (١/١٣٨)].

بـــاداغيس: وهـــي إحـــدى ولايـــات أفغانـــستان. [انظـــر: موقـــع المعرفـــة http://www.marefa.org]

البحرين: اسم جامع لبلاد على ساحل البحرين، بالبصرة وعمان من جزيرة العرب، وعمان آخرها ومدينتها هجر. [انظر: مراصد الاطلاع (١/١٦٧)].

بخارى: بالضم: من أعظم مدن ما وراء النهر وأجلّها، يعبر إليها من آمل الشّط، قرب نهر جيحون، وهى مدينة نزهة البساتين على أرض مستوية. [انظر: مراصد الاطلاع (١/١٦٩)].

بلاد البلغار: بالضمّ والغين معجمة: مدينة للصقالبة شديدة البرد لا يكاد البرد يقلع عن أرضهم صيفا ولا شتاء، وبناؤهم بالخشب، [انظر: مراصد الاطلاع (١/٢١٩)].

بلاد الزنج: يطلق العرب هذا الاسم على البلاد التي بإفريقيا جنوب اليمن وشرقها النوبة وغربها الحبشة، وبلاد الزنج شديدة الحر جداً، وأهلها سوادهم كثير، وبلادهم قليلة المياه قليلة الأشجار. [انظر: آثار البلاد وأخبار العباد (ص:٢٢)].

بلاد الكُرْجُ: بالضم ثم السكون، وآخره جيم: والكرج: جيل من الناس نصارى كانوا يسكنون في جبال القبق وبلد السرير فقويت شوكتهم حتى ملكوا مدينة تفليس، ولهم ولاية تنسب إليهم وملك ولغة برأسها وشوكة وقوّة وكثرة عدد. [انظر: معجم البلدان (٤/ ٤٤٦)].

البندقية: «فينسيا»، هي مدينة في شمال إيطاليا، وعاصمة إقليم ڤِنِتو، وعاصمة مقاطعة فينيسيا، وتعرف بلقب «مدينة الماء»، فهي تمتد على ١١٨ جزيرة صغيرة في

بحيرة البندقية، وكانت قوة بحرية هامة في العصور الوسطى وعصر النهضة، وكانت منطلقاً للحملات الصليبية، وكذلك كانت مركزاً شديد الأهمية للتجارة (خصوصاً الحرير والحبوب وتجارة التوابل)[انظر: موقع المعرفة http://www.marefa.org].

بيزا: مدينة إيطالية تقع في ولاية توسكانا على مقربة من البحر الأبيض المتوسط بين مدينتي فلورنسا و ليفورنو. تشتهر بوجود برج بيزا المائل فيها. [انظر: موقع المعرفة http://www.marefa.org].

بيلة (بيلا): هي مدينة يونانية، عاصمة مملكة مقدونية ابتداء من القرن رابع ق.م. عواضا عن أيغيا عاصمتها القديمة، وكانت معروفة بأسواقها، [انظر: موقع المعرفة http://www.marefa.org].

تبريز: بكسر أوله، وسكون ثانيه، وكسر الراء، وياء ساكنة، وزاى: أشهر مدن أذربيجان، مدينة عامرة حسناء ذات أسوار، وأهلها أيسر أهل البلاد وأكثرهم مالا، وهى مشهورة. [انظر: مراصد الاطلاع (١/٢٥٢)].

تركستان: هو اسم جامع لجميع بلاد الترك، وأول حدّهم من جهة المسلمين فاراب، ومدائنهم المشهورة ست عشرة مدينة. [انظر: مراصد الاطلاع (١/٢٥٩)].

جرباء: وتنطق الجرباء بالتعريف وكذلك وردت في «معجم البلدان»، وهي وأذرح متلازمتين أبدا، كما يقال: مكة والمدينة، أو دجلة والفرات، وهما اليوم قريتان في المملكة الأردنية الهاشمية، تقعان شمال غربي مدينة معان على قرابة ٢٢ كيلا. [انظر: معجم المعالم الجغرافية في السيرة النبوية (ص: ٨١)].

جزر البليارد: هي أرخبيل في غرب البحر المتوسط، بالقرب من الساحل الشرقي لشبه جزيرة أيبريا. أكبر جزيرة اسمها ميورقة وفي جنوبها الغربي توجد العاصمة بالما دي مايوركا. [انظر: موقع المعرفة http://www.marefa.org].

جنوة: مدينة في بلاد الروم على ساحل بحر الشام، وهي مدينة قديمة البناء حسنة الجهات شاهقة البناء وافرة البشر كثيرة المزارع والقرى والعمارات، وهي على قرب نهر صغير وأهلها تجار مياسير يسافرون براً وبحراً ويقتحمون سهلاً ووعراً، ولهم أسطول ومعرفة بالحيل الحربية والآلات السلطانية، ولهم بين الروم عزة أنفس. [انظر: الروض المعطار في خبر الأقطار (ص: ١٧٣)].

خيرسون: مدينة هامة في جنوب أوكرانيا. خيرسون عاصمة مقاطعة خيرسون أوبلاست. تعد خيرسون ميناءاً هاماً على البحر الأسود ونهر دنيبر، [انظر: وكيبديا، الموسوعة الحرة، http://ar.wikipedia.org].

دَلْماسِيَة منطقة على الساحل الشرقي من البحر الادرياتيكي، تقع معظمها في كرواتيا الحديثة. تضم منطقة دلماسية عدة منتزهات. [انظر: وكيبديا، الموسوعة الحرة، http://ar.wikipedia.org].

رودس: بضمّ أوّله، وبالدال المهملة المكسورة، والسين المهملة: جزيرة فى البحر من الثغور الشامية أو الجزريّة، افتتحها جنادة بن أبى أميّة عنوة، في خلافة معاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. [انظر: معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع (٢/ ٦٨٣)].

سبتمانية «سبتمانيا»: (ذو المدائن السبع) كانت تشكل الشطر الغربي من مقاطعة نربونة الغالية الرومانية. والتي أصبحت تابعة للقوط عام ٤٦٢م، في عهد الملك

القوطي ثيودوريك الثاني. كانت عاصمتها أربونة. [انظر: وكيبديا، الموسوعة الحرة، http://ar.wikipedia.org].

سردينية: جزيرة في البحر الأبيض المتوسط، تُشكل أحد الأقاليم العشرين في إيطاليا، وهي ثانى أكبر جزيرة في البحر الأبيض المتوسط بعد صقلية. وتقع بين إيطاليا وإسبانيا وتونس وجنوب كورسيكا، [انظر: موقع المعرفة http://www.marefa.org].

سيواس: مدينة بأرض الروم «آسيا الصغرى» مشهورة كثيرة الأهل والخيرات والثمرات. أهلها مسلمون ونصارى، والمسلمون تركمان وأصحاب التجارات، [انظر: آثار البلاد وأخبار العباد (ص: ٥٣٧)].

شمشاط: بكسر أوله، وسكون ثانيه، وشين مثل الأولى، وآخره طاء مهملة: مدينة بالروم «طرف أرمينيا» على شاطئ الفرات شرقيها بالوية وغربيها خرتبرت. [انظر: معجم البلدان (٣/ ٣٦٢)].

صقلية: جزيرة، وإقليم متمتع بالحكم الذاتي تتبع إيطاليا عاصمتها بالرمو، من أكبر جزر البحر المتوسط تقع بين بحر إيجه والبحر التريني (الموسوعة العربية الميسرة ١١٢٦) وهي من جزائر بحر المغرب مقابلة إفريقية (مراصد الاطلاع ٨٤٧/٢).

طرابزون: هي عاصمة محافظة طرابزون تقع في شمال شرق تركيا على ساحل البحر الأسود، [انظر: موقع المعرفة http://www.marefa.org].

عَيْذَابُ: بالفتح ثم السكون، وذال معجمة، وآخره باء موحدة: بليدة على ضفة بحر القلزم هي مرسى المراكب التي تقدم من عدن إلى الصعيد. [انظر: معجم البلدان (٤/ ١٧١)].

فَرْغَانَةُ: بالفتح ثم السكون، وغين معجمة، وبعد الألف نون: مدينة وكورة واسعة بما وراء النهر متاخمة لبلاد تركستان في زاوية من ناحية هيطل من جهة مطلع الشمس على يمين القاصد لبلاد الترك، كثيرة الخير واسعة الرستاق، [انظر: معجم البلدان (٤/ ٢٥٣)].

الفرما: وهي مدينة بمصر على الساحل، وكانت حصناً على ضفّة البحر لطيف، ويخزنون أيضا ماء النيل يحمل إليهم في المراكب من تنّيس، [انظر: معجم البلدان (٤/ ٢٥٥)].

قبرص: هي من أشهر جزر البحر المتوسط، والآن هي دولة قائمة على جزيرة في شرق حوض البحر الابيض المتوسط في جنوب شرق أوروبا وجنوب غرب آسيا. وهي مقسمة الآن إلى جزئين يونانية (في الوسط والجنوب) وجزء ذو أغلبية سكانية تركية (في الشمال). [انظر: موقع المعرفة **http://www.marefa.org**]

القلزم: قلزم بلدة على ساحل بحر اليمن قرب أيلة والطور ومدين وإلى هذه المدينة ينسب هذا للبحر وموضعها أقرب موضع إلى البحر الغربي لأن بينها وبين الفرما أربعة أيام، والقلزم على بحر الهند، والفرما على بحر الروم. [انظر: معجم البلدان (٤/ ٣٨٧)].

كابل: عاصمة أفغانستان الآن، وكابل: اسم يشمل الناحية ومدينتها العظمى أو هند، واجتمعت برجل من عقلاء سجستان ممن دوّخ تلك البلاد وطرقها فذكر لي

بالمشاهدة أن كابل ولاية ذات مروج كبيرة بين هند وغزنة. [انظر: معجم البلدان (٤/ ٤٢٦)]

كريت: هي أكبر الجزر اليونانية وخامس أكبر جزيرة في البحر الأبيض المتوسط. وهي من أهم جزر اليونان من حيث أهميتها الحضارية. [انظر: وكيبديا، الموسوعة الحرة، http://ar.wikipedia.org].

مقاطعة بروفانس: هي المنطقة الجغرافية والتاريخية لمحافظة جنوب شرق فرنسا، والتي تمتد من الضفة اليسرى من أسفل نهر الرون في الغرب إلى الحدود الإيطالية على الشرق، ويحدها البحر الأبيض المتوسط في الجنوب. [انظر: موقع المعرفة http://www.marefa.org].

ملطية: مدينة قديمة من بناء الإسكندر وهي من بلاد الروم مشهورة تتاخم الشام، وكانت قديمة فأخربها الروم فبناها المنصور سنة تسع وثلاثين ومائة وجعل عليها سوراً واحداً ونقل إليها عدة قبائل من العرب. [انظر: البلدان لليعقوبي (ص: ٢٠٥)].

ناربون (أربون): أربونة (نربونة)، مدينة عريقة في شرق جنوب فرنسا، تطل على البحر المتوسط، وكانت عاصمة إقليم سبتمانيا (ذو المدائن السبعة) القديم [انظر: موقع المعرفة http://www.marefa.org].

نصيبين: مدينة من بلاد الجزيرة على جادّة القوافل من الموصل إلى الشام وفيها وفي قراها على ما يذكر أهلها أربعون ألف بستان، بينها وبين سنجار تسعة فراسخ، كان بينها وبين الموصل ستة أيام. [انظر: معجم البلدان (٥/ ٢٨٨)].

فهرس المصادر والمراجع

آثار البلاد وأخبار العباد، للقزويني: زكريا بن محمد بن محمود. بيروت: دار صادر، ١٣٨٩هـ/١٩٦٩م.

أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، للمقدسي: محمد بن علي، ت ٣٩٠هـ/١٠٠٠م. ط. ١٩٠٩م.

البداية والنهاية، لابن كثير: إسماعيل بن كثير الدمشقي، ت٧٧٤هـ، دار الفكر، ١٤٠٧هـ، ١٩٨٦م.

البنية الإدارية للدولة العباسية في القرن٣هـ/٩م. الحاملة: عبد الكريم. ط١٤٠٦،١هـ/١٩٨٥م.

تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي، لحسن: حسن إبراهيم. القاهرة: ١٩٦٨م.

تاريخ التمدن الإسلامي، زيدان: جرجي. دار الهلال.

تاريخ الرسل والملوك للطبري: محمد بن جرير، ت ٣١٠هـ/ ٩٢٢م، بيروت.

تجارب الأمم، لمسكوية: أحمد بن محمد، ت٤٢١هـ/ ١٠٣٠م. القاهرة: ١٣٣٣هـ/١٩١٤م.

التجارة والاقتصاد عند العرب، الصبحي: محمد إبراهيم، مكتبة الوعي العربي: ١٩٦٩م.

التنبيه والإشراف، للمسعودي: علي بن الحين بن علي، ت٣٤٦هـ/٩٥٧م. بغداد: مكتبة المثنى، ١٣٥٧هـ/١٩٣٨م.

الحدود الإسلامية البيزنطية، عثمان: فتحي. الدار القومية للنشر والطباعة.

الحسبة في بيزنطة، العريني: السيد الباز، القاهرة: ١٩٧٥م.

خطط الشام، كرد: محمد علي. دمشق: مطبعة الترقي.

دولة بني العباس، مصطفى: شاكر. وكالة المطبوعات.

الذخائر والتحف، لابن الزبير: القاضي الرشيد، تحقيق: محمد حميد الله، الكويت: مكتب التراث العربي.

صبح الأعشى في صناعة الإنشا، للقلقشندي: أحمد بن علي، ت ٨٢١هـ/١٤١٨م. القاهرة: المؤسسة المصرية للتأليف والترجمة والنشر.

صورة الأرض، لابن حوقل: محمد النصيبين، ت ٣٨٠هـ/٩٩٢م، ط. ليدن: ط ٢، ١٩٣٨م.

العصر العباسي الأول، للدوري: عبد العزيز. بغداد.

العصر العباسي، موسوعة التاريخ الإسلامي، خالد عزام. ط١، عمان، الأردن، ١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م.

العلاقات الخارجية في العصر الإسلامي، القاسمي: خالد بن محمد، دار الثقافة العربية للنشر، ١٩٩٦م.

في التاريخ العباسي والفاطمي، العبادي: أحمد مختار. مؤسسة شباب الجامعة: ١٩٨٢م.

كتاب البلدان، لليعقوبي: أحمد بن أبي يعقوب، ت ٢٨٤هـ/ ٨٩٧م. ليدن:١٨٩١م.

كتاب الخراج، لأبي يوسف: يعقوب بن إبراهيم، ت ١٨٢هـ/ ٧٩٨م، القاهرة، المطبعة السلفية، ط٤، ١٣٩٢م.

مراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع، عبد المؤمن بن عبد الحق، ابن شمائل القطيعي البغدادي، الحنبلي، صفيّ الدين (المتوفى: ٧٣٩هـ)، دار الجيل، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٢هـ.

المسالك والممالك، لابن خرداذبة: عبيد الله بن عبد الله، ت٣٠٠هـ/٩١٢م، ليدن: ١٣٠٧هـ/١٨٨٩م.

معجم البلدان شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي (المتوفى: ٦٢٦هـ)، دار صادر، بيروت، الطبعة: الثانية، ١٩٩٥ م.

معجم المعالم الجغرافية في السيرة النبوية، عاتق بن غيث بن زوير البلادي الحربي (المتوفى: ٢٠١٠هـ)، دار مكة للنشر والتوزيع، مكة المكرمة، الطبعة: الأولى، ١٤٠٢ هـ - ١٩٨٢ م.

معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع. لأبي عبيد عبد الله بن عبد العزيز بن محمد البكري الأندلسي (المتوفى: ٤٨٧هـ)، عالم الكتب، بيروت، الطبعة: الثالثة، ١٤٠٣هـ.

المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، للمقريزي: أحمد بن علي، ط. القاهرة: ١٣٢٥هـ.

المؤسسات الإدارية في الدولة العباسية (٢٤٧ـ ٣٣٤هـ/ ٨٦١ـ ٩٤٥م)، السامرائي: حسام الدين. دار الفكر العربي.

الميزانية الأولى في الإسلام، لبدوي: عبد اللطيف. القاهرة: ١٩٦٠م.

نخبة الدهر وعجائب البر والبحر لشيخ الربوة: شمس الدين أبي عبد الله الدمشقي، ت ٧٣٧هـ/ ١٣٢٦م.

النهضات الأوروبية في العصور الوسطى وبداية الحديثة، عاشور: سعيد عبد الفتاح، ومحمد أنيس، القاهرة: مكتبة النهضة المصرية.

**** ومن الدراسات الجامعية:**

تحليل الفكر الاقتصادي في العصر العباسي الأول ومدى الاستفادة منه في الاقتصاد المعاصر. النقلي: عصام عباس محمد علي. جامعة أم القرى، معهد البحوث العلمية وأبحاث التراث الإسلامي، ١٤١٦هـ.

التطور الاقتصادي خلال العصر العباسي الأول (دراسة مقارنة مع الأوضاع الاقتصادية الأوروبية في تلك الفترة)، عادل سباعي متولي إبراهيم. رسالة دكتوراه، ٢ج، كلية الشريعة، جامعة أم القرى، ١٤١٥هـ/ ١٩٩٤م.

**** ومن الكتب المترجمة:**

بغداد في عهد الخلافة العباسية، لسترنج: غي، ترجمة بشير فرنسيس، بغداد: المطبعة العربية.

البندقية، جمهورية أرستقراطية، شارل ديل: (ترجمة الدكتورين: عزت عبد الكريم وتوفيق إسكندر، القاهرة، ١٩٤٨م).

الحضارة البيزنطية، رنسمان، إبراهيم أحمد العدوي: دراسات في التاريخ البيزنطي، (المجلة التاريخية المصرية، ج٢، عدد ٢، أكتوبر، ١٩٤٩م).

الحضارة البيزنطية، رنسمان: ستيفن. ترجمة: عبد العزيز توفيق، القاهرة: مكتبة النهضة، ١٩٦١م.

رحلة بنيامين، للتطيلي: بنيامين الأندلسي التطيلي. ترجمة: عزار حداد، بغداد، ط١، ١١٩٤٥م.

القوى البحرية والتجارية في حوض البحر المتوسط، لأرشيبالد: لويس. ترجمة: محمد عيسى، القاهرة، ١٩٥١م.

ميلاد العصور الوسطى، موس: سانت. ترجمة: عبد العزيز جاويد، القاهرة: عالم الكتب، ١٩٦٧م.

**** ومن المراجع الأجنبية:**

Schaube, adolf. Handelsgeschte der. romanischen Volker de-mittelmurs gebietes bis zum ende der kreuzzuge. Berlin 1906.

Henri pirenne: mahometet et Charlemagne (2e, paris-bruxelles , 1937)

Eginhard vie de charlemagne, publ. avec trad. Francaise par l. halphen, 2e. ed. Paris, 1938

**** ومن المواقع الالكترونية:**

موقع المعرفة http: //www.marefa.org.

وكيبديا، الموسوعة الحرة، http: //ar.wikipedia.org